

التشيع في أوغندا

• رضا عباسي

تعرض القارة الأفريقية لحملات مكثفة من التيارات الهدامة والتحل المستوردة، والغربية على الفطرة الإنسانية، والبيئة الأفريقية، ولا شك أن هذه الحملات المسعورة تستهدف في المقام الأول العقيدة لدى هذه الشعوب الأفريقية، متّخذة وسائل شتى، وأساليب خادعة، لتجذب إليها أصحاب العقول البسيطة، وتحاول أن تغزو هذه القارة الخضراء، ليكون أهلاها أمّة تابعة لهؤلاء الغزاة.. وسوف نتحدث باختصار عن أحوال المسلمين (بصورة عامة) في أوغندا لؤلؤة القارة الأفريقية كما سماها المستعمرون سابقاً، ثم نختتم الحديث عن أحوال أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام في هذه البلاد.

موقع أوغندا

جمهورية أوغندا هي إحدى بلدان شرق أفريقيا، وتمثل لوحة طبيعية رائعة الجمال، وقد كانت من قبل حلمًا أسطوريًا لكل المكتشفين والرّحالـة، الذين انطلقوـا بحثاً عن منابع نهر النيل، وعن بحيراتها الكثيرة وغاباتها الواسعة، ففيها: بحيرة (البرت) وبحيرة (جورج) وبحيرة (ادوارد) وبحيرة (فيكتوريا) وهذه الأخيرة هي المنبع الحقيقي لنهر النيل، وواحدة من أضخم بحيرات العالم، ولعلّ وفـرة البحيرات والمـعدل المتوسط لسقوط الأمـطار كانـا الضـمان لأوغنـدا من عدم الجفاف والتـصحرـ، فـهي خـضراء دائمـاً، وبـسبب مـوقعـها المـهمـ، واعـتدال جـوهاـ، وسـحرـ طـبـيـعتـها الخـضرـاءـ كانت مـوضـوعـ نـزـاغـ بـينـ القـوىـ الـاستـعـمـارـيـةـ فيـ أـوـاـخـرـ الـقـرنـ المـاضـيـ.

التـبـشـيرـ المـسـيـحـيـ فيـ أوـغـنـداـ

ما إن وضـعتـ الـكـنـيـسـانـ الـكـاثـولـيـكـيـةـ والـبرـوتـسـ坦ـتـيـةـ أـقـدامـهـماـ عـلـىـ أـرـضـ أوـغـنـداـ حتـىـ بدـأـتـ الـافـتـرـاءـاتـ عـلـىـ الإـسـلـامـ تـنـصـبـ مـنـ كـلـ جـانـبـ، مـشوـهـةـ حـقـائـقـهـ مـفـالـطـةـ فيـ وـقـائـعـهـ، وـقدـ حـملـتـ شـعـارـ مـكافـحةـ الرـقـ وـالـقـضـاءـ عـلـيـهـ، وـقدـ اـسـتـخـدـمـتـ هـذـهـ الـكـنـائـسـ مـدـعـوـمـةـ مـنـ قـبـلـ الـحـكـومـاتـ الـاسـتـعـمـارـيـةـ هـذـاـ الشـعـارـ لـتـوقـفـ زـحـفـ الـمـسـلـمـينـ، بلـ لـتـجـعـلـ النـاسـ يـتـحـولـونـ مـنـ الـإـسـلـامـ إـلـىـ النـصـرـانـيـةـ، وـقدـ أـلـفـ عـدـدـ مـنـ الـكـتـابـ النـصـارـيـ كـتـباـ كـثـيرـاـ يـذـكـرـونـ فـيـهاـ أـنـ الـمـسـلـمـينـ ماـ قـدـمـواـ إـلـىـ أـفـرـيـقيـاـ إـلـاـ بـحـثـاـ عـنـ الرـقـيـقـ وـالـتـاجـرـةـ بـسـنـ الـفـيـلـ، حتـىـ لـاقـتـ هـذـهـ الدـعـاـيـةـ رـوـاجـاـ كـبـيرـاـ فيـ أـوسـاطـ الـمـدـارـسـ الـتـيـ كـانـتـ تـقـومـ عـلـىـ دـعـمـهـاـ وـرـعـاـيـتـهـاـ الـدـوـلـ الـاسـتـعـمـارـيـةـ، وـقدـ تـرـكـ هـذـاـ الـاـفـتـرـاءـ فيـ نـفـوسـ قـسـمـ مـنـ الـأـفـارـقـ آـثـارـاـ سـيـئـةـ، إذـ صـارـوـ يـنـظـرـونـ إـلـىـ الـمـسـلـمـينـ نـظـرـةـ

حد وبغض، وأخذوا يتصورون أن المسلمين قساة القلوب غلاظ الطياع، جفاة في أخلاقهم ومعاملتهم لا تهمّهم إلا مصلحتهم فقط.

وتمكنَت الكنيسة من الوصول إلى أصغر القرى وأبعدها، وقد ارتبطت بجماهير الناس ارتباطاً وثيقاً، وذلك بواسطة الخدمات التي تقدمها كالمستوصفات التي قامت بفتحها في كثير من القرى والمدن، وكان لهذه المستوصفات أثر مهم، فهي التي تقدم الدواء بثمن الكلفة وهي التي تشرف على رياض الأطفال والمدارس الابتدائية وال المتوسطة والثانوية، وفوق ذلك قام المبشرون بفتح مكتبات يبيعون فيها الكتب التبشيرية بثمن رمزي.. لذلك فقد نجحت البعثات التبشيرية في مهمتها نجاحاً كبيراً، إذ أعدّت جيلاً يتقبل أفكار المستعمرين، بل يفني نفسه في الدفاع عنهم وحمل مبادئهم وأنظمتهم وأخلاقهم، وبعد أن نزل هؤلاء إلى ميدان السياسة، وشغلوا الوظائف الهاامة في البلاد، عملوا على رد الجميل لهذه البعثات التي أوصلتهم إلى ما هم عليه، فقد ساعدت السلطة هذه الحركات التبشيرية وسخرت كل الإمكانيات الممكنة لها، وذلت لها كل العقبات التي تقف دون امتدادها، وضيقن الخناق على من يقف في وجهها.

بالإضافة إلى ذلك فإن البعثات التبشيرية تمتلك من وسائل الدعاية والإعلام في أفريقيا ما تعجز عنه دول كثيرة، وليس في هذا مبالغة لكنها الحقيقة، ذلك أن دولاً كثيرة تقف وراءها تمدها بالعون المادي، وتساندها في مواقفها السياسية، إضافة إلى الخبرة العالمية لهؤلاء المبشرين.

إن جميع ذلك جعل لهذه الحركات تأثيراً كبيراً حتى في سياسة البلد العامة، وإذا علمنا أن كثيراً من الدول الاستعمارية تقرر مساعداتها للبلاد بقدر ما تسمع للمبشرين من نشاط، فلا غرابة إذاً أن تكون الحركات التبشيرية قد أثرت تأثيراً كبيراً في نفوس أبناء البلد جميعاً.

إن هذه البلدان المهمة في نظر مجلس الكنائس العالمي، وله فيها مراكز كثيرة للتبشر، ويأتي ابتداء الباب بأوغندا عند زيارته لدول شرق أفريقيا، وتمويل الاستعدادات لهذه الزيارة من قبل الفاتيكان، وافتتاحه الكنيسة الضخمة في (نامو تونقو) دليلاً على أن أوغندا محط أنظار الكنيسة، باعتبارها مركزاً هاماً من مراكز التبشير في شرق أفريقيا، وفي هذا الإطار عقد مؤتمر الكنائس في مدينة (جنجا) حضره قساوسة وممثلون عن الحركات التبشيرية العالمية تحت شعار (مواجهة الأخطار التي تتحقق بال المسيحية) نوقشت فيه الأخطار ومن بينها الإقبال على اعتناق الإسلام.

الإسلام في أوغندا:

لا توجد إحصائية دقيقة لعدد السكان ونسبة المسلمين، لكن التقديرات تذكر أن نسبة المسلمين تتراوح بين ٢٠ - ٣٥ % من مجموع السكان البالغ ١٦ مليون نسمة، وعن قصة دخول الإسلام إلى هذا الجزء من أفريقيا، تحدث المصادر التاريخية فتوضح أنه بحكم التصاق شمال أوغندا بالسودان المسلم - الذي انتشر فيه الإسلام منذ القرن الرابع عشر الميلادي - نشأت علاقة تجارية قوية بين المسلمين وبين سكان أوغندا، وكان التجار المسلمين يحملون البضائع والهدايا إلى ملوك القبائل الأوغندية، وكان بعض هؤلاء التجار يقومون إلى جانب تجارتهم بالدعوة إلى دين الله، وعرض الإسلام على كل من يتعامل معهم، وعلى إثر ذلك فقد اهتدى عدد كبير من الأوغنديين، ومنهم الملك (داوود الثاني ملك قبيلة بوكندا) التي كانت تحتل وسط أوغندا، وقد حسن إسلامه، ومنذ ذلك الحين أخذ الإسلام يشق طريقه بين القبائل الأوغندية.

ويُفخر المسلمين في أوغندا بأن الإسلام هو أول دين سماوي عرفته بأوغندا، فقد سبق الديانات المسيحية بعشرات السنين، ولو دققنا النظر في المصادر التاريخية لأفريقيا نجد أن الإسلام دخل أغلب أقطارها قبل المسيحية، ولكن بسبب بعض الأساليب الخبيثة التي استخدمها الاستعمار فقد عمل على خلق مشكلات كثيرة بين صفوف المسلمين، منها مشكلة الأمية التي تحول دون الوعي الكامل بالحقوق، ودون الاطلاع على الإسلام من مصادره الصحيحة، وتجعل الأمي بحاجة إلى الاعتماد على غيره دائمًا. فالأمية وللأسف الشديد منتشرة بين صفوف المسلمين في أوغندا بنسبة عالية، وبسببها ظل المسلمون متخلفين عن أتباع الديانات الأخرى.

المذاهب الإسلامية في أوغندا:

١- المذهب الشافعي:

يعتبر هذا المذهب الأكثر انتشاراً ليس في أوغندا فحسب، بل في عموم شرق أفريقيا، مع وجود نسب صغيرة للمذاهب الأخرى، والشيء الملفت للنظر أن أنصار الوهابية قد تغلقوا بين صفوف أبناء هذا المذهب نتيجة للجهود التي تبذلها المنظمات والهيئات العالمية التابعة للوهابية، فقد فتحوا المدارس، والمساجد، والمستشفيات، وأقاموا الاحتفالات، والمهرجانات السنوية، وعملوا على تقديم المنح الدراسية إلا أنه ومنذ أكثر من سنتين تقريباً بدأ نشاطهم ينحصر بسبب موقف علماء أهل السنة والجماعة منهم، بعد أن تولى قيادة المسلمين المفتى

(الشيخ سعد إبراهيم لوببا) الذي تربطه بأتباع أهل البيت علاقات حميمة، فقد قام العلماء في البلاد بحملة إعلامية دعائية ضدهم، محذرين الشعب المسلم من خطورهم على عقيدة المسلمين.

٢- جماعة الأحمدية:

وهي الفرقة التي أسسها أحمد القادياني في الهند في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي، وقد غير اسمها عند دخولهم إفريقيا من القاديانية إلى الأحمدية، ولهؤلاء مدارسهم ومساجدهم التي يبيّنون من خلالها معتقداتهم، ومن نشاطاتهم الأخرى تقديم المنح الدراسية للشباب، وإرسالهم إلى الهند وباكستان والبلاد الأوروبيّة، وكذلك توزيع الكتب والنشرات وطبع الكتب، وقد طبعوا القرآن في خمسة وثلاثين لغة عالمية، حسب ما ينسجم مع عقيدتهم وأهوائهم، ومن أسلوبهم العمل على توثيق العلاقة مع الحكومات كي يكونوا تحت حمايتهم.

٣- الأباضية:

دخلت الأباضية أوغندا في بداية القرن الحالي، قادمين من جزيرة زنجبار حينما كانت تحت رعاية السلطان العماني، وجميعهم من العمانيين لم يحصلوا على أتباع من أبناء البلد، وقد اقتصرت نشاطاتهم على التجارة والزراعة، ولم يكن لهم نشاط تبليغي، ولا نشاط في مجال الخدمات الاجتماعية والتعليم.

٤- جماعة الأغاخان:

وهم فرقة من المذهب الإسماعيلي، دخلوا البلاد قادمين من شبه القارة الهندية ما بين عام ١٩٢٠ - ١٩٣٠ م، وبسبب تفوقهم التعليمي فقد سيطروا على المرافق التجارية، حتى أصبحوا أصحاب ثراء فاحش، ولأجل ترتيب أوضاعهم الخاصة فقد ساهموا في بناء بعض المساجد والمدارس والمستشفيات.

٥- مذهب الإمامية الاثني عشرية:

دخل أتباع هذا المذهب أوغندا في العقد الثالث من القرن الحالي مع أتباع الديانات الأخرى التي قدمت من الهند، بعد أن عبرت المحيط الهندي إلى السواحل الشرقية للقاره الأفريقية، ومن هناك بدؤوا يتغلبون في أعماق القارة حتى وصلوا زائير في وسط القارة.

كانت الجالية الإثنا عشرية في أوغندا تعداداً من أكبر الجاليات الشيعية في إفريقيا، وكانت لهم مساجد، وحسينيات ومدارس.. وعند استيلاء (عيدي أمين) على السلطة في أوغندا عام ١٩٧٢ م وجّه ضربة قاسية لكل الآسيويين والأوروبيين بسبب دعمهم للحكومة السابقة، ولكراسيه الشديدة للأجانب، فقد تم طردتهم جميعاً مخلفين وراءهم كل ما يملكون، وقد وضعوا المساجد والحسينيات والمدارس الدينية تحت إشراف المجلس الإسلامي الأعلى، حيث

لم يكن آنذاك أحد من المواطنين الأوغنديين معتقداً للمذهب الاثني عشرى كي يقوموا على حماية هذه الممتلكات.

مراكز أتباع أهل البيت عليهم السلام في أوغندا
١- مركز أهل البيت عليهم السلام:

يقع في مدينة جنغا (منبع نهر النيل) وثاني مدينة في البلاد من حيث أهميتها الاقتصادية وعلى ضفاف بحيرة فكتوريا.

أسس هذا المركز في عام ١٩٨٩م بالتعاون مع أحد المؤمنين من أتباع أهل البيت عليهم السلام في جمهورية كينيا، بعد دعوة من أبناء الشعب الأوغندي الذين أحبوا التعرف عن قرب على تعاليم أئمة هذا المذهب الأصيل، والذي عمل أبناءه في الجمهورية الإسلامية في إيران وبقيادة قائد الأمة الإمام الخميني أسكنه الله فسيح جناته على إحياء الإسلام من جديد.

بدأ نشاط هذا المركز بفتح مدرسة دينية علمية من أجل تهيئة دعاة واعين للقيام بتحمّل مسؤولية التبليغ للمذهب، وإعادته من جديد لهذه البلاد، بعد أن خرج أتباعه منها كما أسلفنا، وبجهود أبناء هذه المدرسة أخذ المسلمون من مختلف المذاهب الإسلامية يطالبون إدارة المركز بإرسال الدعاة إلى مساجدهم ومدارسهم، كي يتعرّفوا على المزيد من تعاليم مذهب أهل البيت عليهم السلام، فضلاً عن كثير من الشباب من أتباع الديانة النصرانية، الذين دخلوا الإسلام واعتنقوا المذهب.

نشاطات المركز بآيجاز:

أ- فتح مدرسة دينية علمية تحت اسم معهد أهل البيت عليهم السلام الإسلامي، - وهذا أول نشاطات المركز - عدد طلابه خمسون طالباً، مقسمين على ثلاثة صفوف، يدرس فيها مرحلة المقدمات كما في الحوزة العلمية في قم المقدسة، ولمدة ثلاث سنوات.

ب- فتح مدرسة دينية أكاديمية تحت اسم ثانوية الإمام جعفر الصادق عليه السلام عدد طلابها ستون طالباً وسيزداد العدد في الأعوام القادمة إنشاء الله.
وهؤلاء يتلقون دروسهم الأكاديمية في الثانوية الحكومية صباحاً، وبعد الظهر يدرسون المواد الدينية في مقر المدرسة.

ج- فتح مدرسة ابتدائية تحت اسم مدرسة الإمام الحسن بن علي عليه السلام، وهي مدرسة دينية أكاديمية عدد طلابها ٤٥٠ طالباً وطالبة، وسيزداد العدد بعد أن اتخذت الإدارة الإجراءات الالزمة لذلك.

د- تأسيس مسجد أهل البيت عليهم السلام في وسط المدينة تؤدى فيه الصلوات الخمس اليومية جماعة وصلاة الجمعة، وتقام فيه المناسبات الدينية الأخرى كدعاء كميل ليلة

ال الجمعة وولادات الأئمة ووفياتهم .

هـ- قسم الدعوة والتبلیغ: افتتح هذا القسم في بداية شهر رمضان المبارك من عام ١٤١٤هـ بالتنسيق مع مكتب التبلیغ في منظمة الإعلام الإسلامي، وقد تم انتخاب سبعة عشر مبلغاً من خريجي مدرسة أهل البيت بعد أن أعدواً أعداداً مناسبة لهذه المهمة التبیلية وهم الآن يزاولون عملهم بين المسلمين من أبناء القرى الأوغندية.

و- مكتبة أهل البيت: إن طالب الثقافة الإسلامية في جمهورية أوغندا يدور في حلقة مفرغة، إذ يفتش هنا وهناك عن الكتب الإسلامية ثم يرجع بخفي حنين فالمكتبة المدرسية ليس فيها إلا مجموعة من الكتب المنهجية، وأخرى مهداة من المركز الثقافي البريطاني أو الأميركي تتحدث عن أمجاد الإنجليز والأمريكان وهناك مكتبات أخرى تبع فيها الأنجليل وبعض كتب التبیلير مترجم بعضها إلى اللغات المحلية في البلد. أما المكتبة الإسلامية فلا وجود لها في أوغندا، ومن هنا رأت إدارة المركز ضرورة تأسيس مكتبة عامة داخل مبني المركز هيأت لها كتب التاريخ والحديث، والفقه، والتفسير... ولهذه المكتبة مساهمة فعالة في هداية كثير من الشبان الأوغنديين.

٢- مؤسسة أهل البيت عليهم السلام:

توجد هذه المؤسسة في محافظة إيفانغا على بعد ٤٠ كم من مركز أهل البيت عليهم السلام، وقد تم تشييدها من قبل بعض التجار الكوبيتين من أتباع أهل البيت عليهم السلام. ولهذه المؤسسة نشاطاتها، وتضم مدارس دينية وأكاديمية، ومستوصفاً، ومسجدًا، وداراً للأيتام، إلا أنها بحاجة إلى كادر متخصص في مجال التبلیغ والتعليم، كي تستثمر هذه الإمكانيات المادية الهائلة التي أنفقت على تشييد مرافق هذه المؤسسة.

٣- جمعية الشيعة الخوجة في أوغندا:

ومقرها في العاصمة الأوغندية كمبالا، وينحصر نشاطهم الديني حالياً بالاجتماع ليلة الجمعة في مسجد صغير لهم في أحد أطراف المدينة يؤدون فيه بعض الشعائر الدينية كقراءة سورة يس، وحديث الكساء، ودعاة كمبل، ثم يختتمون بصلوة المغرب والعشاء، لكننا نأمل أن تنشط هذه الجماعة في المستقبل ويزداد العدد عند عودة أهل البيت عليهم السلام للبلاد، بعد أن وافقت الحكومة الحالية على إعادة الممتلكات المصادر لأصحابها.

واختتم الحديث بالقول بأن المستقبل سيشهد نشاطات واسعة لأتباع أهل البيت عليهم السلام في هذه البلاد إن شاء الله.